أساليب وطرق التعامل مع الجماعات المدرسية
من وجهة نظر نفسية – اجتماعية

الدكتور جابر نصر الدين
كلية الآداب و العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية
جامعـــــــــــــة بسكرة

ملخـــــص :

اعتبارا من كون المدرسة مجتمع مصغر يضم العديد من ***الجماعات*** الصغيرة؛ منها جماعات الصفوف (الأقسام) الدراسية، فإن علم النفس الاجتماعي بإمكانه تزويد القائمين على العملية التربوية والتعليمية؛ بما فيهم المعلمين بمعلومات هامة وواضحة عن طبيعة هذه الجماعات.

وستحاول هذه المداخلة تسليط الضوء على مساهمة علم النفس الإجماعي في السياق التربوي، مركزة على طرق أساليب التعامل مع الجماعات المدرسية بالإضافة إلى خصائصها.

Résumé :

A partir que l'école est considérée comme une micro-société composée de plusieurs petits groupes entre autre les groupes scolaires, la psychologie sociale peut aider les responsables de l'opération éducative y compris les enseignants avec des données importantes et claires sur la nature de ces groupes .

Et cette communication jettera un éclairage sur les contributions de la psychologie sociale dans le contexte éducatif et mettra l'accent sur les méthodes et les techniques du travail avec les groupes scolaires et ainsi leurs caractéristiques..

تمهيـــــد:

إن المدرسة في عالمنا اليوم قد تراكمت عليها المسؤوليات و الأهداف فلم تعد مهمتها قاصرة على الناحية التلقينية والتحصيلية، بل تطورت إلى العناية بالسلوك والاتجاهات والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية المشكلة لدينامية الجماعات المدرسية، وتعدّ هذه المجالات من صلب اهتمامات علم النفس الاجتماعي، الذي يهتم بالدراسة العلمية لسلوك الفرد أثناء تفاعله مع الآخر ين في مواقف اجتماعية مختلفة. وقبل التطرق لمناقشة بعض أساليب وطرق التعامل مع الجماعات المدرسية، سنحاول أولا التعرف على بعض خصائصها.

أو لا– خصـــائص الجماعات المدرسيـــة:

انطلاقا من واقع مؤسسة المدرسة نستطيع أن نتبين أربع وظائف رئيسية تقوم بها الجماعة في الفصل المدرسي لتحقيق التفاعل بين الفرد والجماعة:

- أن جماعة الصف المدرسي تستطيع أن تعمل على تنمية حاجة الفرد للتعلم ، وفي جماعة الصف يتعرض التلاميذ للكثير من المشكلات الاجتماعية ، التي لا يستطيع الفرد وحده أن يقدم لها حلا.
- يعتبر الصف بمثابة معمل تجريب للتلاميذ، فمن خلاله يجد التلميذ فرصة سانحة لتجسيد علاقات التعاون مع زملائه، فيساعدهم ويلتمس لديه المعونة في مثل هذه الأحوال.
- من خلال جماعة الصف يستطيع التلميذ أن يجد ذاته، فكافة الأنشطة التي يشترك في إنجازها التلميذ، والعمل الجماعي الذي يقوم به المتعلمون، يتطلب تفاعلهم مع بعضهم البعض على كافة المستويات العقلية والانفعالية والاجتماعية.
- من خلال تأثير جماعة الصف وضغوطها على التلميذ، ليساير نظمها ومعاييرها، وما اتفقت عليه في كافة أوجه نشاطها، يتمكن التلميذ من التعرف على كيفية تكوين المعايير الاجتماعية، التي اصطلح على السير حذوها. كما انه بالإضافة لذلك، سيتمكن من فهم سلوك زملائه، مما يمكنه من تشخيص العلاقات السائدة بين أفراد الجماعة.

وقد درس عدد من الباحثين أجواء الفصول الدراسية اعتمادا على الملاحظات الشمولية وتقديرات التفاعل الاجتماعي، وفي هذا يميزون بين هذه الأجواء ويبحثون في آثارها على سلوك التلاميذ، وقد استخدمت مصطلحات مختلفة منها [1].

- الجو المتركز حول المدرس في مقابل الجو المتمركز حول التلميذ.

- الجو التسلطي في مقابل الجو الديمقراطي.
- الجو المقيد في مقابل الجو المتسامح.
- الجو السيادي في مقابل الجو التكاملي.

وتؤكد نتائج هذه البحوث أن في الفصول المتمركزة حول التلميذ تكون فيها استجابات التلاميذ للمعلمين أكثر إيجابية، وفي الفصول المتمركزة حول الجماعة كان مستوى العلاقات الوجدانية بين الأشخاص على سبيل المثال أعلى بين أعضائها، الذين أظهروا درجة كبيرة من التقبل المتبادل، وذلك في مقابل الفصول المتمركزة حول القائد.

ومن المواقف الدينامية بين أعضاء الجماعة المدرسية، والتي تسعى المدرسة إلى تنميتها تنمية سليمة خالية من الصراعات والتوترات وعوامل التفكك، ما يلي:

العلاقات بين التلاميذ: يمكن للمدرسة آن تعمل على توافق التلاميذ توافقا سويا مع بعضهم البعض وذلك بإشباع حاجاتهم، وتقبلهم وشعورهم بالانتماء للمدرسة، ولكي تصل المدرسة إلى ذلك يمكن أن تكثر من المناقشات لإبداء الرأي و الأنشطة لإشباع ميول التلاميذ والعمل على توزيعهم في الفصول على أساس التجانس بينهم ومعالجة المتأخرين منهم.

العلاقة بين التلاميذ والمعلمين: يجب أن يسود هذا النوع من العلاقات التعاطف والاحترام المتبادل. ولذا كان من الضروري أن يعرف المدرس دوره كقائد ويعرف طريقة القيادة السليمة بان يعين التلاميذ على الوصول إلى أهداف واضحة محددة مقبولة ويعطيهم فرصة الإسهام في العمل و تقديرهم بالمدح نتيجة الأداء الحسن وزيادة الاندماج وتشجيع أسلوب المناقشة في المدارس وإتباع سياسة موحدة في معالجة سلوكات التلاميذ.

وأثبتت الدراسات الميدانية أن أثر المعلم و استراتيجيات تفاعله في تكو ين مفهوم ذات أكاديمية عالية لدى الطلاب، و بخاصة في مراحل التعليم المبكرة قد يساعد على تطوير الجوانب الشخصية للطالب التي تفيد في حياته المستقبلية الواقعية [2].

العلاقات بين المعلمين: تلعب العلاقة بين المدرسين بعضهم ببعض دورا طيبا في تحقيق المدرسة لأهدافها، ووصول المدرسة لذلك يعتمد على الألفة والانسجام والتعاون بن المدرسين، ويأتي ذلك كله بوضوح السياسة التي تضعها المدرسة في أذهان المدرسين، ولابد من الاعتماد في وضعها على أخذ رأي المدرسين أنفسهم وتبادل آرائهم حولها.

وتشير الكثير من الدراسات إلى عدد من المؤشرات الخاصة بديناميات الجماعة المدرسية، نذكر منها:

1. التحصيل الدراسي يرتبط إيجابيا بكفاءة ونوع العلاقات بين الأفراد.
2. جماعة الفصل تحقق وتشبع حاجات التلاميذ.

3. القلق الناتج عن الصراع بين أفراد الجماعة يعمل على إعاقة دافع التلاميذ للتعلم و الاكتساب.
4. يعالج الأسلوب الديمقراطي المتبع في إدارة الصف المدرسي كثيرا من التوتر والقلق والصراع.
5. مشاعر و إنفعالات جماعة الصف تؤثر في العملية التعليمية وفي التخطيط لها.
6. تستفيد جماعة الصف الصغيرة في العدد أكثر من الجماعة كبيرة العدد.

ولقد أشار أحد الباحثين وهو سيلبرمان 1949 إلى شيوع أربعة اتجاهات بين المعلمين تحكم عملية تفاعلهم مع طلابهم وهي [3]:

- اتجاه التعلق: عندما يفضل المعلم الاحتفاظ بأحد أو بعض طلابه لعام آخر.
- اتجاه الاهتمام: عندما يفضل المعلم اهتمامه و انتباهه إلى أحد طلابه الذي يهمه أمره.
- اتجاه اللامبالاة: وهو تحدث المعلم عن طالب ما بأدنى درجة من الاستعداد أمام ولي أمره.
- اتجاه النبذ: عندما يفضل المعلم أن لا يكون طالب ما في قسمه ويتمنى نقله إلى صف أو قسم آخر.
- كما يمكن إضافة عامل آخر هو أثر جنس المعلم والطلاب أثناء رسم معالم خصائص العلاقات الاجتماعية داخل الفصول الدراسية.

ثانيا: أساليب وطرق التعامل مع الجماعات المدرسية :

1-دراسة الوسط المدرسي:

يعتبر الالتحاق بالمدرسة زمنيا و نفسيا نهاية عهد و بداية عهد آخر بالنسبة للطفل لأنه حتى سن الخامسة يتفاعل مع والديه و أشقائه اكثر مما يتفاعل مع أي أحد آخر لأن الوالدين هما من يعرف من الكبار معرفة وثيقة فهما اللذان يرسمان نمط حياته اليومية، فموافقتهما هي ما يهمه و إرضاؤهما هو ما يسعى إليه، و لكن مع بداية المدرسة يتسع عالم الطفل و يصبح أكثر تعقيدا، فهو يقضي وقتا أطول بعيدا عن البيت في صحبة أناس آخرين غير أعضاء أسرته، كما تصبح أراء و أحكام و أوامر هؤلاء ذات أهمية متزايدة، وضمن مجال دراسة الوسط المدرسي سنتكلم عن :

أ- مؤشرات الاستعداد للتكيف المدرسي :

سواء كانت أول مدرسة يذهب إليها الطفل هي الحضانة أو رياض الأطفال أو المدرسة الأولية (الابتدائية) التي بحكم القانون لا ينبغي أن يتخلف عن الالتحاق بها الأطفال عند سن السادسة ، فالذهاب إلى المدرسة في نظر الصغار جميعا معناه أنهم قد كبروا ، و قد كانوا يتطلعون بشغف إلى اليوم الذي يكبرون فيه و يصحبون اخوتهم و أخواتهم الكبار إلى المدرسة و يشاركون في هذه الخبرات التي يسمعون عنها من هؤلاء عما يسمى المعلم، المعلمة، القسم، الحصة، السبورة ... الخ.

ولقد يكره بعض الأطفال الحضانة أو رياض الأطفال بعد انتظامهم فيها، لكن ذلك أقل بكثير مما يحدث للصغار في كراهيتهم للمدرسة الابتدائية و السبب في ذلك واضح : فالتغير المفاجئ في الحضانة وروضة الأطفال ليس أكبر بكثير مما هو في البيت، و رغم أن الأطفال يلتحقون بها في السن أكثر بكثير، أما بالنسبة للمدرسة و في السنة الأولى منها فالفرق كبير بين جو الأسرة (الوالدين ، الاخوة) وجو المدرسة (المعلم والمعلمة، الزملاء) الرسمي. و يتوقف عموما حب الطفل للمدرسة و كراهيته لها على أول خبراته بها لأن البداية الحسنة للذهاب للمدرسة تأتي من أول خبرة بها سواء سبقها الاستعداد السليم أو الخاص، أو عدم الاستعداد أصلا، و دراسات اتجاهات الصغار نحو المدرسة قد كشف عن إنه " بينما اغلب الصغار يدخلون المدرسة بآمال عريضة، وتوقعات كبرى فالكثير منهم يشعرون أنهم قد خدعوا في المدرسة قبل أن يتموا عامهم الأول بالصف الأول[4].

و لا يقل خطرا عن عدم الاستعداد للذهاب للمدرسة الأعداد لها بطريقة خاطئة، فبعض الآباء رغبة منهم في تحبيب المدرسة إلى أبنائهم يزينون لهم صورة المدرسة و لو على غير الحقيقة و الواقع، وحين يقال لصغير الذي تركه الجميع وحيدا بالبيت انه حين يذهب للمدرسة سوف يجد زملاء كثيرين يلعب معهم، ثم يتصادف حين يذهب ألا يحب الآخرين اللعب معه، والصغير الذي تؤكد له أمه أنها ستكون عند باب المدرسة للعودة به إلى البيت، ويتكرر تأخرها في الحضور وهو في انتظارها جائعا وتعبا فيتسرب إليه الملل والكره ويفضل عدم الذهاب إلى المدرسة، وتؤثر كل اتجاهات الصغير نحو المدرسة في السنوات القادمة.

والخبرة القاسية والمريرة بالمدرسة تتطور إلى خشية تتزايد عاما بعد آخر حتى يصل الوقت الذي يثور فيه الولد على والديه طالبا عدم الذهاب لهذه المدرسة، ونظام المدرسة وشخصية المدرسين بصرف النظر عن المعدات المادية لحجرات الدراسة والمواد الدراسية أو جداول الحصص والكتب المقررة...الخ، هي التي ستهيئ الجو النفسي الاجتماعي اللازم لتوافق الصغير بمدرسته وحبه لها وبالتالي نمو شخصيته في المدى البعيد ونجاحه التحصيلي في المدى القريب، والعلاقات التي تكون هذا الجو الصحي النفسي- الاجتماعي أو المرضي (آلا توافقي) فيما بين المعلم والتلميذ والصغير وزملاء الدراسة هي التي ستحدد في المستقبل ما إذا كانت المدرسة تخرج المواطن الصالح أو الحدث المنحرف.

ب- دراسة الفصل (القسم) الدراسي:

لا يقتصر المفهوم الحديث للتربية على الاهتمام بالجانب العقلي المعرفي فقط، بل يعتمد إلى الجوانب الانفعالية و الاجتماعية أو هكذا يجب أن يكون، فالتربية تهدف إلى مزيد من التربية، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق مساعدة التلميذ على مزيد من النمو في الجوانب المختلفة، ويزود علم النفس الاجتماعي المدرس بما يمكن أن يحتاجه

من معلومات عن النمو الاجتماعي للتلميذ و عملية التنشئة الاجتماعية- من حيث طبيعتها والعوامل المؤثرة فيها ونتائجها، كما يمده أيضا بمعلومات عن الاتجاهات، القيم، المعايير وذلك لأن عمل المدرس كمربي قد يعرضه لمواقف تقتضي تعديله لبعض من هذه الاتجاهات أو المعايير. وأيضا، ولأن المدرس يقوم بالعمل مع جماعة (الفصل) فإن علم النفس الاجتماعي يمده بمعلومات دقيقة وواضحة عن كيفية تكوين الجماعة، وما هي العوامل المؤثرة في تكوينها وتماسكها؟ وما هو دور الجماعة في تعديل السلوك الفردي؟ وكيف يمكن ان يستغل المدرس ضغوط الجماعة لتغيير سلوك بعض أفرادها إلى الواجهة التي يريدها هو بوصفه قائد للجماعة؟ ولأن المدرس في قيامه بالعمل يمثل قائدا للجماعة، فان علم النفس الاجتماعي يزوده بالمعلومات اللازمة عن أنواع القيادة المختلفة موضحا مساوئ ومحاسن كل منها، ويساعده على اختيار نمط القيادة الملائم والذي يسهم في إثراء العملية التعليمية.

وقد ظهرت في مجال التربية عدة أسئلة، قد يتمكن عالم النفس الاجتماعي من الرد عليها وذلك مثل:

- هل يكون الفصل المدرسي جماعة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما معناه بالنسبة للمدرس من حيث أهدافه
- واتجاهاته وطرائقه في عمله؟
- لماذا لا تسير الأمور في الفصل الدراسي كما يجب أن تكون رغم أن أفراد هذا الفصل متفوقون في مستواهم الدراسي؟.
- لماذا تصلح بعض الأساليب مع فصل ولا تصلح مع فصل آخر؟ أو تصلح وقت معين للجماعة، ولا تصلح لنفس الجماعة في وقت آخر؟
- لماذا يستمتع بعض التلاميذ بالشهرة والمكانة دون الآخرين رغم أنهم لا يمتازون عنهم في شيء ظاهر؟.
- لماذا يطغى الحماس على الجماعة في وقت من الأوقات، بينما تظهر عدم المبالاة في وقت آخر؟

ويرى لويس كامل انه يمكن أن نتبين في جماعة الفصل أربع علاقات وظيفية بين الفرد والجماعة وهي[5] :

- أن تقوم الجماعة بتنمية وتدعيم حاجة الفرد، ويواجه الأفراد في الجماعة مشكلات تتطلب الحل الجماعي، لذلك يجب أن تأخذ طريقة التدريس هذا العامل في الاعتبار.
- جماعة الفصل مجالا لتحقيق الفرد لذاته، فان عمليات التخطيط، والعمل الجماعي تتضمن تفاعلا اجتماعيا انفعاليا.
- تهيئ جماعة الفصل الفرصة للفرد لاختيار نمو مفاهيمه الاجتماعية وسلوكه الاجتماعي، وتعديلها وتجريب غيرها.
- للجماعة تأثير قوي على التكيف الثقافي للفرد. ففي الجماعة يتعرف الفرد على طرق قيام المعايير الجماعية.

وإذا أراد المدرس استخدام هذه العلاقات في إثارة الدافع للتعلم، تعين عليه ان يوفر عمليات جماعية هامة وذلك مثل:

- الاتصال السهل داخل الجماعة.
- الاتفاق على نظام مشترك للقيم.
- تحقيق الجهود التعاونية.
- تعلم السلوك في أوقات الإحباط.
- توزيع الثواب على النجاح في الاشتراك في العمل الجماعي بين أعضاء الجماعة.

كما يطرح ثيلين بعض الأسس التي يرى انه عن طريقها يمكن ترجمة ما يُعرف عن " الديناميات الإنسانية" إلى مجموعة من القواعد القابلة للتطبيق في المجال المدرسي[6] :

- إن خبرات التعلم في الفصل تحقق وظيفتين :

1. أنها تربط بين التلاميذ- عن طريق جماعة الفصل- وبين المجتمع الكبير والجماعات الأخرى. وتهدف هذه الوظيفة إلى إشباع حاجات الجماعات إلى الشعور بالأمن في علاقاتها مع الجماعات الأخرى ومع العالم الخارجي.
2. تكون المادة التحصيلية (المهارات والمعارف) ومادة العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة.

- إن الجو الجماعي، آو أسلوب الحياة الجماعية يمكن ان يؤثر تأثيرا هاما على شخصيات الأعضاء ويتوقف تأثير جماعة الفصل في التلميذ على مدى تمكين هذه الجماعة للتلميذ من إشباع حاجاته.

- ضرورة تعليم التلاميذ تطبيق " الطريقة التجريبية" في محاولتهم إشباع حاجاتهم وذلك عن طريق تطبيق هذه الطريقة في مواقف واقعية ذات دلالة للشخص.

- تتضمن عملية تحديد بناء الجماعة تحديد الأهداف، وتحديد الحدود التي يجب في محيطها توفير الحرية الكاملة للتجريب.

ويعني مفهوم " حرية التجريب (داخل حدود)" تهيئة وسائل علاج القلق والشك والعدوان والتي غالبا ما تنتج عن المحاولات والجهود المبذولة في العمل، فيجب على المدرس أن يسلك بحيث ينظر إليه الطلاب على انه مصدر تأييد وعون وصداقة.

- – يحتل القلق–حول:الصراع بين الأفراد وحول عضوية الجماعة- مركز الصدارة فيما يتعلق بأسس ديناميات الجماعة في الفصل المدرسي بوصفه جماعة، فهذا القلق يعوق الدافع إلى تعلم المادة الدراسية، والمعروف أن

الطلاب العاجزين عن التوافق توافقا سويا مع زملائهم يكونون أقل قدرة على التعميم من موقف الدرس إلى المواقف الجديدة وابتكار حلول لها.

- أن خبرات ومطالب الفصل المدرسي تمثل جزء فقط من اهتمامات الطالب، لأن خبرات الحياة اليومية تؤثر في نوع الخبرات المكتسبة داخل المدرسة وتتأثر بها.
- إن الميكانيزم الأساسي في تنشيط جماعة الفصل هو: تقييم الحالة الانفعالية لجماعة الفصل وتحليل المشكلات التي تتميز بها.
- يجدي التعلم ما يجدي إذا طبقت تطبيقا صحيحا قاعدة " اصغر حجم للجماعة" ومضمون هذه القاعدة هو: أن انسب تنظيم للجهود داخل الفصل المدرسي يختلف باختلاف العمل، وانه يجب تحديده بعد الدراسة الدقيقة لشروط عملية التعلم والحالة داخل الجماعة.

ويمكن القول بأنه: كلما صغر حجم الجماعة، كلما اتسعت الفرصة أمام الفرد للمشاركة، وتحقق هذه المشاركة إشباع الحاجات بشرط أن يشعر كل من الفرد والجماعة بأن هذه المشاركة تؤدي ونساهم في تقدم الجماعة.

ج- دراسة علاقة الفرد بالجماعة في الجماعات المدرسية

يعتبر الطالب في المدرسة عضوا في مجموعة ذات أهمية بالنسبة له، وتتألف عادة هذه المجموعة من زملائه. وعلى طبيعة علاقته بأقرانه يتوقف مقدار ما يمكن تحقيقه من تحصيل تربوي.

والحقيقة القائمة في الجماعات المدرسية هي أن هذه الجماعات تتألف من أفراد أتوا إلى المدرسة لغرض معين وهو التعلم واكتساب المعارف والمهارات، ومما يجدر تأكيده هو أن المؤثرات الاجتماعية يظهر آثرها واضحا في الأفراد في المواقف الاجتماعية وهذا يصدق كثيرا على الحياة المدرسية التي يبدو آثرها فيما تتيحه للطلبة من القدرة على أن يكشفوا عن قدراتهم ودوافعهم أبعاد نشاطهم، والحقيقة التي لا غيار عليها هي حينما يجتمع فردان أو أكثر فإن قواهما العقلية ودوافعهما الأساسية تأخذ سبيل العمل والنشاط العام. ويمكن للمهتمين بدراسة علاقة الطالب بالجماعة داخل الجماعات المدرسية الاعتماد على:

- قياس اتجاهات الجماعة المدرسية.
- قياس قيم الجماعة المدرسية.
- قياس العلاقات الاجتماعية في الجماعات المدرسية.

ويجب أن نوضح نقطة هامة في هذا المجال وهي أن الوسائل المستخدمة في قياس النواحي السابقة تحتاج لسنوات طويلة لدراستها دراسة معمقة، وان هذه الوسائل تختلف عن الاختبارات المدرسية في نواحي عديدة أهمها أن

الاختبار المدرسي يكون معدا قصد معرفة مدى التحصيل العلمي للطالب، لكن اختبارات الشخصية أو الذكاء ومقاييس الاتجاهات لا تتعلق بقياس هذه النواحي بنفس الكيفية التي تتم في الاختبارات المدرسية.

د- دراسة طبيعة القيادة في الجماعات المدرسية:

القيادة عملية دينامية تصدر عن شخص مسؤول إلى أشخاص يبتغي إثراء خبراتهم لينهضوا بأدوارهم الاجتماعية، فهي عملية مساعدة الآخرين على اكتشاف أنفسهم أثناء تحقيقهم للأهداف التي تكون جزءا متأصلا من كل فرد منهم، فالمعلم في المدرسة والأب في الأسرة والمسؤول في أي مجال، على هؤلاء كافة تقع مسؤولية اكتشاف ما لدى الآخرين من مواهب وكفاءات، وان الاكتشاف هذا من صميم واجب الشخص الذي تسلمه الجماعة مقاليد قيادتها.

و في إطار التفاعل النفسي-الاجتماعي داخل الفصول الدراسية نادى بعض علماء النفس أمثال ماصلو و روجرز إلي إيجاد مناخ تعليمي أو إ رشادي أو إداري تسوده علاقات إنسانية [7]، على اعتبار أن مثل هذا المناخ يمكن أن يفسح مجالا أكبر لتحقيق الأهداف التعليمية و التربوية.

و يذكر م.ب فوليت Follett (1949م) بشأن القيادة المدرسية رأيا يؤكد في جملته مجمل خصائص الفرد الذي يستطيع أن يتسم تسيير أمور أفراد آخرين على أساس التعاون والتوجيه في سبيل التوصل إلى هدف مشترك، وعلى حد تعبير فوليت أن " القائد يتولى تكوين المجموعة أو الفريق، وهذه أولى الخصائص اللازمة للقيادة في سبيل تضافر الجهود لبلوغ هدف مشترك" وهذا يتطلب بطبيعة الحال تعويد أفراد المجموعة التابعة لمن يمتلك ناصية هذه الصفات على أن يعملوا بمحض أرادتهم إذ يحتذون حذو من يتولى زمام تصريف شؤونهم، وأن الأفراد الذين تتوافر فيهم خصائص القيادة يكونون قادرين على إنعاش روح الجماعة لدى كل فرد في المجموعة [8].

هـ- الاستفادة من مفهوم القيادة المدرسية والضبط:

الضبط هو كل الممارسات و العوامل المدرسية و البيئية التي تساعد في تطوير سلوك هادف منضبط ذاتيا لدى المتعلمين، فهو إذا يشمل الإجراءات النمائية و الوقائية و العلاجية التي يمارسها الطلبة.

و أن الدور القيادي في الجماعات المدرسية هو اكثر دلالة من مفهوم ضبط المجموعة والهيمنة عليها، فالغايات التربوية المنتظرة من تعويد الطلبة على القيام بممارسة الأدوار القيادية أبعد من أن تحدد تحديدا يرتكز إلى مفاهيم فرض السيطرة الشخصية التي قد يبديها أحد الطلاب إزاء زملائه وهذا ما يحدث فعلا في بعض الأحيان عندما يحاول بعض الطلبة الكبار السيطرة على الطلاب الصغار، فالقيادة في الجماعات المدرسية تعني التسامح والتعاون والالتزام الاختياري بنظام روح الجماعة، لان القيادة في الجماعات المدرسية، على حد تعبير روجر بيلوز Bellows

(1964م) " ذات مغزى ينطوي على الإبداع يسعى الجميع إلى تحقيق أهداف مشتركة وتحدوهم في الوقت نفسه روح الانسجام والتوافق، الروح التي تسود المجموعة كفريق متكامل" ويذكر ريتشارد لفنجستون Livingston في كتابه (القيادة التربوية Leadership in Education) "أن الشخص يكون قائدا في وجهة نظر التربية حينما يصبح باستطاعته إبداء مؤهلات تكسبه احترام الآخرين" وهذا الرأي يماثل إلى حد كبير ما يذكره م.ب فوليت حيث يقول في كتابه "دينامية الإدارة" " إن مفهوم القيادة بالمعنى الحديث هي ليست عن طريق فرض الشخصية بالسيطرة، وانما يراد بها قدرة المرء على استقطاب جهود مجموعته وتشجيع ما لديهم من مبادرات في التوصل إلى إنجازات مرتقب [9] .

ورد في تقرير يتعلق بالتعليم الثانوي، نشرته اللجنة الاستشارية المسؤولة عن شؤون التعليم في اسكتلندا القول التالي: " أن التربية تعتبر عاجزة عن أداء مهمتها ما لم تسع إلى تشجيع الطلاب على الإسهام الفعلي في الحياة وما لم تغرس فيهم روح المشاركة والتعاون، وما لم تنم فيهم روح الأدوار القيادية التي تعودهم الطريقة التي يديرون بها غيرهم كما يمكن أن يداروا هم بها أيضا " [10].

ومن هنا ندرك ما للموضوع من أهمية، إذ آن اللجنة الاستشارية جعلت من أولى واجبات التربية العناية بهذا الموضوع، وهو تعويد الطلبة ممارسة طبيعة القيادة في الجماعات المدرسية.

يبدو جليا الآن أن الغرض الأساسي من تعويد الطلبة على القيادة داخل المدرسة هو تنمية روح المسؤولية وفسح المجال لنمو الشخصية.

2-تحديد الخدمـــات المتعلقـــة بالجماعات المدرسية:

أ- الخدمات المتعلقة بالتلميذ:

ويمكننا إيجاز هذه الخدمات في التقاط التالية:

- الاستشارة المستمرة لمختلف مظاهر النمو عند التلميذ.
- المساهمة في توجيه الطفل مع مراعاة ميوله واستعداداته ورغباته من ناحية ومتطلبات سوق العمل من ناحية أخرى.
- تحري اضطرابات نقص قدرة التلميذ على التكيف والعمل على إزالة العوامل التي تعيق هذا التكيف.
- الاهتمام بالمشاكل المستجدة لدى التلميذ (فالإنسان في تغير نتيجة لتفاعله المتعدد الأشكال والمصادر) والعمل على أيجاد الحلول لها.
- جهود التوعية (حلقات، محاضرات، إرشاد وتوجيه..الخ).
- تعزيز عملية الاتصال بين التلميذ والمعلم، ذلك بتعزيز العوامل التي تشجع هذا الاتصال.

ب– الخدمات المتعلقة بالبيئة المترلية:

وتشمل هذه الخدمات النواحي التالية:

- جمع المعلومات المتعلقة بسلوك التلميذ ونشاطه وبيئته وظروفه المعيشية.
- تحديد كيفية تعامل التلميذ مع مواد الدراسة في المترل.
- تقييم مدى رضى الأهل عن المناهج المتبعة وعن أساليب اتصال المعلمين بالتلميذ، وذلك بحيث يتم التركيز على الإيجابيات (بغية العمل على تدعيمها وتطويرها).
- إقامة ندوات ومحاضرات دورية تتعلق بموضوع واجبات الأهل ودورهم في الحياة المدرسية وذلك بهدف تحقيق تعاون افضل بين البيت والمدرسة.

ج–الخدمات المتعلقة بالبيئة المدرسية:

وتتوزع هذه الخدمات حسب رأي الدكتور/ جليل شكور بين المعلم والإدارة والتربويين ومع البنية الحاضنة للمدرسة [11].

– الخدمات المتعلقة بالمعلـــم:

وتتناول هذه الخدمات النقاط التالية:

- تزويد المعلم بأساليب الاتصال الناجح مع التلاميذ.
- تعريف المعلم بمراحل النمو ومظاهرها وتهيئته للتعامل معها وتوظيف المناهج لخدمتها.
- إعطاء المعلم فكرة واضحة عن الأوضاع الخاصة لتلامذته حتى يسهل عليه التعامل معهم.
- تنظيم اجتماعات دورية بين المعلمين و الاختصاصي النفسي، وفي هذه الاجتماعات يتم نقل ملاحظات الأهل وتقييم مدى فعالية التعليم ودرجة استيعاب التلاميذ.
- تزويد المعلم بالطرق والوسائل والأبحاث الحديثة المتعلقة بالمادة التي يدرسها.
- وضع برامج إعدادية وتوجيهية للمعلمين، وذلك بهدف تدعيم الاتصال.
- توضيح سيكولوجية الطالب أمام المعلم حتى تسهل مهمة هذا الأخير.
- تسريع دينامية الاتصال بين المعلم و تلامذته.

– العـــلاقـــة مع الإدارة:

- – المساعدة على إيجاد الأجواء الملائمة بين الإدارة وبين التلامذة والأساتذة، مما يساعد في تدعيم علاقة الفئات الثلاث ببعضها البعض ويجعل من المدرسة خلية اجتماعية فاعلة.

- – تدعيم الدور القيادي للإدارة حتى تستطيع ممارسة مهامها.
- – المساهمة في توزيع الطلاب على الصفوف (وفقا لقدراتهم).
- – المساعدة في تعديل المناهج حتى تستجيب بصورة افضل لاحتياجات التلاميذ والمجتمع.
- – المساعدة في توزيع الحصص والبرامج.
- المساعدة في تحضير النشاطات المدرسية.

– العلاقة مع البنية المادية للمدرسة :

- تشخيص الشروط المادية الملائمة لغرفة الدراسة وتعزيزها، كمثل تأمين البناء الصحي والغرف الواسعة والتجهيزات الخاصة.
- العمل على أيجاد وتدعيم الملحقات المدرسية كمثل الملاعب والمكتبة والمختبر...الخ.

بعد هذا العرض يمكننا أن نستخلص انه كلما توفرت شروط مساهمة علـــم النفـــس الاجتماعي في السياق التعليمي والتربوي، كلما تمكن هذا العلم من الدراسة العلمية لطبيعة الجماعات الدراسية و العوامل المؤثرة فيها الشيء الذي يحسن من المردود التعليمـــي والتربـــوي.

الهوامش :

[1]- زين العابدين درويش وآخرون، علم النفس الاجتماعي (أسسه وتطبيقاته) الطبعة الثانية، القاهرة مطابع زمزم 1993 ص 195.

[2] - عمر حسن منسي: إدارة الصفوف، الطبعة الثانية، الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2000 ص 39.

[3]- نفس المرجع، ص 40.

4- كمال دسوقي : النمو التربوي للطفل والمراهق، بيروت، دار النهضة العربية 1979، ص300.

5- غريب عبد الفتاح غريب: موضوعات مختارة في علم النفس الاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، 1992، ص194.

[6]- نفس المرجع، ص 196.

[7]– عمر حسن منسي : مرجع سابق ص37.

[8] – عبد العلي الجسماني: علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية والتربوية. بيروت: الدار العربية للعلـــوم،1994، ص 473.

[9]– نفس المرجع. ص 478.

[10]– نفس المرجع،1 ص 471.

[11] –جليل شكور: الإرشاد النفسي– المدرسي ودور الاختصاص النفسي، مجلة الثقافة النفسية، بيروت، العدد 4، المجلد 1، 1990، ص 26